قادسية صدام
امتداد لقادسيات العرب

د. طاهر مظفر العميد
كلية الآداب - جامعة بغداد

شهد العراق في مختلف حقبه التأريخية ، سواء في العصور التأريخية القديمة ، او في المرحلة التي بنى العرب المسلمون فيها دولة قوية مترامية الاطراف وحضارة انسانية متكاملة الجوانب • او في المرحلة الحديثة حيث ارسى حزب البعث العربي الاشتراكي دولة متماسكة قوية ، شهد احداثا ضخمة جسيمة •

فلقد مرت اثناء تلك الفترات التاريخية المتعاقبة قادسيات مشرقة رائعة عظيمة ، توقف التأريخ عندها ، وسجل احداثها بأحرف من نور ، لا زالت ومضات تلك الفترات تهب نسائمها العذبة المشرقة كلما دنس الاجنبي ثرى العراق الطاهر ،

لقد تجمعت قادسيات العراق في سلسلة متواصلة الحلقات يشد بعضها بعضا ، ويجمعها خيط واحد من خيوط المنعة والاباء ، وفجرت في قلوب العراقيين ينابيع الخير والاصالة والعزة •

وتحدثنا النصوص المسمارية ان سرجون الاكدي الذي وحد ممالك العراق في دولة قوية قد اخضع المدن الواقعة على امتداد نهر الفرات ، واستولى على بلاد الشام ، وبسط نفوذه على معظم الموانىء الفينيقية على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وسيطر على كبد وكية في اسيا الصغرى

ثم اخضع سرجون اجزاء مهمة من بلاد ايران بلاد عيلام[1] .

يتسم عهد تكلات بلاسر الثالث (٧٤٤ — ٧٢٧ ق . م) بأنجازاته العسكرية الواسعة ، فقد جرد حملة على المناطق الشرقية من جبال زاكروس المتآخمة للحدود العراقية ، وتوغل جيشه العظيم في عمق الاراضي الايرانية ، وفي اراضي الماديين في منطقة جبال هماوند ، وقد ضيق الخناق بقوة على الدولة العيلامية[2] وقد استطاع مداهمة اسرائيل وضم نصف مملكتها الى امبراطوريته ، وعين هوشع ملكا على السامرة على ان يكون تابعا للدولة الاشورية .

وعند وفاته تسنم عرش الدولة الاشورية ولده « شيلمنصر الخامس » (٧٢٦ — ٧٢٢ ق . م) وقد خلع في عهده الملك الاسرائيلي هوشع الطاعة عن الاشوريين ، فغزا شيلمنصر الخامس فلسطين وحاصر مدينة السامرة لمدة ثلاث سنوات وقد اتم الملك سرجون الذي اعقبه فتحها .

ويتميز حكم الملك سرجون الاشوري (٧٢١ — ٧٠٥ ق . م) بالعديد من الانجازات العسكرية الرائعة ، فقد حدث ان حرضت عيلام احد الزعماء البابليين المسمى « مردوخ بلادان » فأستقل في مملكة بابل في العام الذي اعتلى سرجون الحكم في اشور ، فقرر سرجون على ضرب هذا الثائر ، وابتدأ بغزو المحرضين له من العيلاميين (الايرانيين) في عام (٧٢٠ ق.م) فنشبت معركة بين الجيش الاشوري والجيش العيلامي في منطقة عند الحدود العراقية الأيرانية بالقرب من بلدة بدرة الحالية .[3]

وعاد سرجون الى تجريد حملة اخرى على بلاد ايران في عام ٧١٣

---

١ — طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، الجزء الاول ، مطبعة الحوادث ، بغداد ١٩٧٣م — ١٣٩٣هـ . صفحة ٣٦٤ .

٢ — المصدر السابق ، صفحة ٥١٠ . سوف نعتمد على مؤلف الاستاذ طه باقر في المعلومات والنصوص الواردة في هذا البحث .

٣ — المصدر السابق ، صفحة ٥١٢ .

ق . م فأستولى على جملة اقاليم ومدن مهمة في اقليم كرمنشاه وهمدان . ولعل من اهم الانجازات العسكرية للملك سرجون هو ازالته لدولة اسرائيل من الوجود ، ونقل الكثير من اهلها اسرى واسكنهم في بلاد ماذي وجلب بدلا منهم جماعات من بلاد بابل[٤] .

وعندما جاء سنحاريب مخلفا اباه سرجون في حكم الدولة الاشورية في عام ٧٠٤ ق . م ، اظهرت بعض الدويلات العصيان على الدولة الاشورية ، ووصل جيش مصري فرعوني لمساعدة هذه الدويلات ، ومن بينها مملكة يهوذا في عهد ملكها « حزقيا » ، فأسرع سنحاريب الى تأديب هذه الدويلات في عام ٧٠١ ق . م ، وقد تم له اخضاعها ، وشدد الخناق على مملكة يهوذا وعاصمتها « ارشليم » وترك على حصارها احد قواده الذي ورد اسمه في التوراة بأسم « رابشاقه »[٥] وقد جرى حوار بين اليهود المحاصرين وبين القادة الاشوريين[٦]

وصمم سنحاريب على تأديب المدن العيلامية ، وسواحل الخليج العربي فجهز لذلك حملة بحرية واخرى برية في عام ٦٩٦ ق.م ، وقد طهر الاجزاء العليا من الخليج من اعدائه ، ومن ثم نجح سنحاريب في غزو المدن العيلامية الساحلية ، وعاد يحمل الغنائم واسلاب الحرب الكثيرة[٧]

وتشير النصوص التأريخية ، ان الملك اشور بانيبال ابن الملك اسرحدون الاشوري بأنه قد انتصر على الملك العيلامي المدعو « تيومان » الذي قتل في المعركة وقطع رأسه واخذ الى نينوى حيث علق فوق شجرة في الحدائق الملكية[٨]

٤ــ المصدر السابق ، صفحة ٥١٣ .

٥ــ رابشاقة ، وتعني كبير السقاة .

٦ــ ورد الحوار في سفر الملوك الثاني ١٨ : ١٣ ، ١٩ : ٣٤ ، وسفر الايام الثاني ، ٣٢ : ١ــ٢ وسفر اشعيا ، ٣٦ : ١ــ٣٧ .

٧ــ طه باقر ، نفس المصدر ، صفحة ٥١٧ .

٨ــ ورد ذلك في منحوتة آشورية تعود الى عهد الملك اشور بانيبال .

وعندما جاء نبوخذ نصر الى حكم الدولة البابلية في عام ٦٠٤ ق٠م، اظهر « يهوياكيم » ملك مملكة يهوذا الطاعة للملك نبوخذ نصر بعد ان رأى انتصارات الملك في الشام ، الا انه عاد بتحريض من الفرعون المصري ينخو في عام ٥٩٧ ق٠م الى خلع الطاعة وانقطع عن دفع الجزية للبابليين ، فأرسل نبوخذ نصر جيشا حاصر اورشليم التي استسلمت له عام ٥٩٧ ق٠م وقتل ملكها يهوياكيم اثناء الحصار ، واسر الملك من اليهود ثلاثة الاف اسير ونصب على مملكة يهوذا «صدقيا» وكان هذا هو السبي الاول لليهود • ولم يستمر صدقيا على ولائه لنبوخذ نصر فخلع الولاء بتشجيع من الفرعون المصري ، فأسرع نبوخذ نصر الى حصار اورشليم التي استسلمت له في عام ٥٨٦ ق٠م بعد حصار دام ثمانية عشر شهرا ، وقبض على صدقيا في مدينة (اريحا) واقتيد مع اولاده الى معسكر الملك البابلي في « ربلا » واخذ مكبلا بالحديد مع اربعين الف من اليهود الاسرى الى بابل بعد ان دمرت اورشليم ، وهذا هو السبي البابلي الثاني لليهود[٩]

ويستغل اعداء الدولة البابلية غياب ملكها « نبو يندس » عن بابل لفترة طويلة ، فتتضافر جهود اليهود الذين هجرهم وسباهم نبوخذ نصر الى بابل مع الفرس المجوس للنيل من قوة بابل •

وكان الملك البابلي « نبو يندس » قد عقد حلفا مع الملك الفارسي « كورش الثاني » في عام ٥٥٣ ق٠م ، إلا ان الاخير لم يلتزم بهذا الحلف، فنقضه كما فعل احفاده من الفرس اتباع الدجال خميني اليوم ، حين نقضوا اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ ، واعلنوا الحرب على العراق في ٤ ايلول من عام ١٩٨٠ •

فأحتل « كورش » اقليم (كيليكية) الذي كان تابعا الى بلاد بابل ، فأدى ذلك الى انهاء الحلف بينهما •

والتقى الحقد اليهودي الاسرائيلي مع الحقد الفارسي المجوسي

٩ــ طه باقر ، نفس المصدر ، صفحة ٥٤٨ .

في عام ٥٣٩ ق٠م حيث استطاع « كورش » من فتح مدينة بابل ، وعامل كورش اليهود البابليين معاملة طيبة وسمح للكثير منهم ان يعودوا الى اورشليم(١٠)

وهكذا دهم العراق حكم اجنبي زرادشتي حاقد،وجثم على صدور العراقيين ليل اسود حالك ٠

وتلد شعاب مكة ، وليدها الرسول القائد ، محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، النبي العربي الكريم ، وتشرق مع مولده ايام العراق من جديد ، قوية عظيمة مضيئة ، وتتواصل مع مولده الميمون قادسيات العراق القديم بقادسيات العرب الابرار ٠

وتبدأ الوجوه السمر القادمة من الجزيرة العربية تعانق شمس العراق من جديد ، وتتلاقى حبات رمال الصحراء سعف نخيل الوادي ، وتبتسم ايام العراق ، عراق العروبة المجاهد ، وعراق الاسلام المكافح ٠

وفي العقد الثاني من الهجرة النبوية ، اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قراراً تحرير العراق والشام ومصر من التسلط الاجنبي الغاشم ، وبعد ان ارتفع لواء الاسلام بسواعد العرب الاباة ، وخضعت ارض الجزيرة العربية جميعها لهم ، كانت مهمة نجدة عرب العراق وتحرير ارضه المغتصبة في قمة قراراتهم الستراتيجية ٠ فلقد تغلغل الفرس المجوس كما اسلفنا ، وفي غفلة من الزمن ، اثناء ضعف القبائل العربية في العراق ، ونشروا جبروتهم الزرادشتي في مناطق عديدة من ارض الرافدين ، واتخذوا لهم بعض المراكز العسكرية الحساسة في المدائن بوسط العراق ، وفي الخريبة والرزق والزابوقة بجنوب العراق عند البصرة، وزينت لهم الغطرسة المجوسية الحاقدة على كل ما هو عربي انهم ماكثون فيها ابد الدهر ٠

وبدأ العرب المسلمون مناجزة الفرس في جنوب العراق ، والظاهر

١٠ــ انظر سفر عزرا : ٣ــ٥ .

ان العرب قد عرفوا منطقة البصرة قبل تمصير مدينة البصرة اذ ان بعض الروايات التاريخية تشير الى تجريد حملات عسكرية اسلامية على منطقة الخريبة[١١] قبل ان يشرع عتبة بن غزوان في تمصير البصرة .

والخريبة هي البلدة التي كان يسميها الفرس في السابق « وهشتا باذ اردشير » وتعنى بالعربية موطن فردوس الملك اردشير[١٢] وكانت لهم فيها مسلحة مشحونة بالجند المقاتلين اثخن العرب المسلمون جراحها وشلوا مقدرتها الدفاعية .

وتفيد بعض النصوص التاريخية ان خالد بن الوليد مر بالخريبة سنة اثنتى عشرة قادما من اليمامة والبحرين في طريقه الى الحيرة ، وانه لم يرحل عن منطقة البصرة حتى اتم فتح الخريبة[١٣]

ويذكر الطبري ان قطبة بن قتادة كان يغير بناحية الخريبة فكتب الى عمر بن الخطاب يعلمه مكانه وانه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبله من العجم ونفاهم[١٤]

وفي السنة الرابعة عشرة للهجرة ، اتخذ القائد عتبة بن غزوان (رضي الله عنه) من مكان الخريبة موضعا للانطلاق في مهاجمة القواعد العسكرية الفارسية القريبة ، وعلى الخصوص ، مسلحة الابلة ، حيث كان بها خمسمائة من الجند المجوس يدافعون عنها فأنتصر عليهم[١٥] ثم توالت

١١ــ الخريبة ، هي كما ورد في معجم البلدان لياقوت ٣٦٢/٢ ، تصغير خربة وسميت بذلك فيما ذكره الزجاجي لان المرزبان كان قد شيد عندها قصرا ثم خرب بعده ، وعندما نزل المسلمون منطقة البصرة واسسوا فيها مدينتهم كانت هناك تلك الخرائب فسموها الخريبة .

١٢ــ انستاس ماري الكرملي ، لغة العرب ، (١٩٢٧) صفحات ٦١٠ ــ ٦١١

١٣ــ ياقوت ، معجم البلدان ٣٣٠/١ ، ويضيف ياقوت ان خالدا خلق بها رجلا من بني عامر وانه قدم نهر الصراة وفتح القصر صلحا

١٤ــ الطبري ٥٩٣/٣

١٥ــ الطبري ٥٩٤/٣

انتصاراته على المجوس المغتصبين فأستولى على جميع مسالحهم في منطقة شط العرب •

ومكث القائد عتبة بن غزوان يلاحق فلول الزرادشتيين من موقع لآخر ومعه نخبة طاهرة مجاهدة من العرب المسلمين ، وتنقل الصحابى الجليل من موقعة الى اخرى على رأس جيشه المقدام ، يناجز الفرس ، وينتصر عليهم ، ويلاحق مسالحهم بالموت والدمار •

وقاد القائد سعد بن ابي وقاص (رضي الله عنه) معركة القادسية مع نخبة من المجاهدين الابرار جند الخليفة عمر بن الخطاب فأبلوا بلاء حسنا وتكبد الفرس المجوس الكثير من القتلى حتى عقد لهم النصر ، ولقد بلغ النصر ذروته عندما قتل المؤمنون القائد المجوسي رستم •

واجتاح الصحابي الجليل سعد بن ابي وقاص ، حصن الفرس في المدائن ، ووقف ممع جيشه العربي المنتصر في الايوان يصلي ركعتي الفتح ويتلو قول الله تبارك وتعالى : « كم تركوا من جنات وعيون ••• »

وتوالت انتصارات القعقاع والمثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد وابي عبيدة ابن الجراح في كل المعارك التي خاضوها لتحرير ارض العراق من رجس الزنادقة •

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، وتضاف حلقة مضيئة جديدة ، مشرقة الى سلسلة قادسيات العراق ، يوم ان هب جيش تموز العظيم ، ورجال العراق الاوفياء ، جند القائد صدام حسين البررة ليطردوا احفاد المجوس الزرادشتيين من زين القوس وسيف سعد ومن المحمرة وعبادان والاحواز •

ويمسك العالم انفاسه وهو يتابع انتصارات عرب العراق في قادسيتهم الجديدة ••• قادسية صدام ••• واحواز العروبة ••• ومحمرة بني تميم ••• وتذل غطرسة الشيطان خميني وزمرته من عباد النار ،

ويرتفع صوت الحق ، صوت العروبة المكافح والاسلام المجاهد ، مع تقدم دبابات القائد العربي المسلم صدام حسين ،

ويضيء يوم العراق من جديد ... فمرحبا به من يوم مشرق عظيم ... ومرحبا بالقائد المظفر .